

الباب العاشر

في ذكر أمور من المفاخر الواقعة بين قبائلهم
وما ينجر إلى ذلك

اعلم أن المفاخر الواقعة بين قبائل العرب كثيرة فلنقتصر على ما ذكره في
نهاية الأرب من ذلك، فنقول: من لطيف ما يُحكى في ذلك ما روي عن ابن الكلبي
أنه قال: قال كسرى للنعمان بن المنذر يوماً: هل في العرب قبيلة تشرف على قبيلة؟
قال: نعم، قال: فبأي شيء؟ قال: من كانت له ثلاثة آباء متوالية ورؤساء ثم اتصل
ذلك بكمال رابع فالييت من قبيلته فيه وتنسب إليه قال: فاطلب ذلك فطلبه فلم
يصبه إلا في الحذيفة بن بدر وآل ذي الجدين وآل الأشعث بن قيس بن كنده فجمع
الجميع ومن معهم من عشائره وأقعد لهم الحُكَّام والعدول وقال ليتكلم كل رجل
منكم بمآثر قولهم وليصدق فكان حذيفة بن بدر أول متكلم وكان ألسن القوم،
فقال: قد علمت العرب أن فينا الشرف الأقدم، والأعز الأعظم، ومآثر للضيع
الأكرم، فقال من حوله: ولم ذلك يا أبا فزارة، قال ألسنا الدعائم التي لا ترام،
والأمر الذي لا يضام قيل: صدقت.

ثم قال شاعرهم فقال:

فزارة بيت العز والعز فيهم
 لها العزة القعساء والحسب الذي
 فهبها قد أعي القرون التي مضت
 وهل أحد إن قريوماً يكفه
 فإن يصلحوا يصلح لذلك جميعها
 فزارة قيس حسب قيس نصالها
 بناه لقيس في القديم رجالها
 مآثر قيس مجدها وفعالها
 إلى الشمس في مجرى النجوم ينالها
 وإن فسدوا يفسد من الناس حالها

ثم قام الأشعث بن قيس فقال: قد علمت العرب أنا نقاتل عديدها الأكثر،
 زحفها الأكبر، وأنا الغياث الكربات، ومعدن المكرمات، قالوا: ولم يا أخا كندة،
 قال: لأنا رؤساء ملك كندة واستضللنا بإفتائه وتقلدنا منكبه الأعظم، وتوسطنا
 يبحوحة الأعظم، ثم قام شاعرهم فقال:

إذا قست أبيات الرجل بيتنا
 فقال كلنا لوائنا بخطبة
 تعالوا فقولوا يعلم الناس أننا
 وجدت لها فضلاً على من يفاخر
 ينافرنا فيها فنحن نخاطر
 له الفضل مما أورثته الأكابر

ثم قام بسطام الشيباني فقال: قد علمت العرب أنا بنات بيتها الذي لا يزول،
 ومغرس عزها الذي لا يحول، قالوا: ولم يا أخا شيبان قال: لأنا أدركم للثأر،
 وأضربهم للملك الجبار، وأقولهم للحكم، والدهر الخضم، ثم قام شاعر فقال:

لعمري بسطام أحق بفضلها
 فسائل أبيت اللعن عن عز قومها
 السنأعز الناس قومًا ونصرة
 وقبايع عز كلها ربيعة
 وأول بيت العز عز القبائل
 إذا جد يوم الفخر كل مناقل
 وأضربهم للكبش بين القبائل
 تلذل لها عز رقاب المحافل

إذا ذكرت لم ينكر الناس فضلها وعاذبها من شرها كل وائل
وأنا ملوك الناس في كل بلدة إذا نزلت بالناس إحدى النوازل

ثم قام حاجب بن زرارة التميمي فقال: قد علمت العرب أنا فرع دعامتها،
وقادة زحفها، وقالوا: ولم ذلك يا أخي بني تيم قال: لأنا أكثر الناس عديداً،
وأنجبهم طراً وليداً، وأنا أعطاهم للجزيل، وأحملهم للثقل، ثم قام شاعرهم فقال:

لقد علمت أبنا خندف أننا لنا العز قدماً في الخطوب الأوائل
وأنا كرام أهمل مجد وثروة وعز قديم ليس بالمتضائل
فكم منهم من سيد وابن سيد أعز نجيب ذو فعال ونائل

ثم قام قيس بن عاصم السعدي فقال: لقد علم هؤلاء أنا أرفعهم في المكرمات
دعائم، وأثبتهم في الثائبات مقادم، قالوا: ولم ذلك يا أخي بني سعد، قال: لأنا
أدركهم للثأر، وأمنعهم للجار، وأنا لا نتكل إذا حملنا، ولا نرام إذا أحلنا، ثم قام
شاعرهم فقال:

لقد علمت قيس وخندف أننا وجل تميم والجميع لنا ترى
بأننا عماد في البرور وأننا لنا الشرف الضخم المركب في ال...
وأنا ليوس الباس في كل ماذق إذا جز بالبيض الجماجم والكللا
فمن ذا اليوم الفخر يعدل عاصماً وقيساً إذا مرت ألوف إلى العلا
فهيئات قد أعصى الجميع فعالمهم وقاموا اليوم الفخر مسعاة من سعى

فقال كسرى: حيثئذ ليس منهم إلا سيد يصلح لموضعه، وأثنى حياهم،
وأعظم صلاتهم، وأثنى ما بهم.